

## جريدة النهار 16/1/2011

### في ذكرى الأربعين على غياب السفير الياس غصن.

يصعب عليّ أن أكتب هذه السطور إليك يا الياس بعدما كتبنا الآلاف منها معاً في مواجهة صغار القوم ، يوم أرادوا منك أن تتحدر (إلى صفوفهم) أولئك الذين لم يجدوا يوم غابوا من يجعلهم على قيد الحياة فدخلوا دائرة التحنيط التاريخي وكأنهم دخلوه منذ زمن بعيد ، بينما نزل الآلاف ليلقوا عليك تحية سلام ومحبة جعلتني في حضرة وداع مهيب لكبير لا يغيب .

كبير أقاموا له الأحبة في اليونان تكريماً ملوكياً يوم ترافقنا إلى اليونان في عرس نظيرة حيث لم أكن أعلم أنها الرحلة الأخيرة ، التي تبعثها رحلة مع الألم إستسلمت لها وكأنك بها تقول : أنا لا أقارع الأجساد وقد كنت تقارع بالحقّ والمعرفة وبهما انتصرت .

إستسلمت لآلام الجسد يوم انتصرت على آلام الحقد ، رحلت يوم كان قد حلّ موعدك لتستريح بعد جيل من المواجهة مع من لم يع أو كان يعي من هو الياس غصن ، فاغتاظوا منك وديروا لك المكابذ ونسبوا إليك زوراً الإثم والسوء ، فارتدت عليهم وهم لها أهل .

وكان من رصيدك عشرات القرارات القضائية تروي نزهتك ورفعة مكانتك ، قرارات دُرست في الجامعات وكتبوا عنها أبحاثاً لا بل أطروحات .

نرثيك ولا تزال مواكب الجاليات تتوافد من (الولايات المتحدة وأوروبا وإفريقيا ولا سيما اليونان) لتلقي السلام على عابدة وتهديك ورود الحب تقديراً لما صنّعه يداك ولما حصده من ثمار غرسك الذي زرعه ، حيث لم يكن هناك من جاليات بل لبنانيين مشتتين في أصقاع الأرض جمعتهم في سفارة لا بل في سفارات دفعتهم إلى تشييدها فوقيتهم شرّ الشتات .

تحدرت من بيت سياسي وبيت بكوات حسباً ونسباً وأنا لم أكن مقتنعاً بهذا التوصيف ولا حتى أنت ، لكنك إستحققتها بين محبيك وذويك .

وكم تعلم كل منا الكثير من خصائل الياس الفريدة في الأصول والمعرفة والإستشراف ، وكم كنت جليس الرؤساء وعميد السفراء ورفيقاً مخلصاً . وكم أوصيتني أنه بالصدق والمعرفة تبني والبقية تأتي وقد بسطت لي الحياة وهكذا سرت مع الأحباء هادياً لا تخطيء المسار .

إقتدى بك كثيرون واقتبسوا عنك فن الحياة وعشقها ، تملأ الفراغ وترشد في الضياع .

رواك فؤاد دمعاً حزيناً فاهديه من شمسك من فوق سُبُل الحياة ليُكمل مع عمّه نقولا رسالة حب الكورة وبلاد الأرز التي حملتموها أباً عن جدّ .

نم قريرَ العين أنت شمع لا ينطفئ وحب لا يزول .

أنطوان أ. سعد